لويس ماسينيون المستشرق الفرنسي
حياته وأعماله (1883 - 1962)

علي تابليت
- جامعة الجزائر

تقديم :

مستشرق فرنسي ، وهو من بين المستشرقين في مكانة لا يضارعه فيها إلا «تيودور نيلدكه» (1836 - 1931) مستشرق ألماني و«إجنتس جولد تسيهر» (1850 - 1921) من مواليد المجر ومن أسرة يهودية ، وقد امتاز ماسينيون منهم جميعاً بنفوذ النظرة وعمق الاستبطان والقدرة على استنباط التيارات المستورة وراء المذاهب الظاهرة والأفكار السطحية ، ومرد ذلك الى مزاج شخصي خاص جعل حياته الباطنة ثرة عامرة بأعمق معاني الروحية . ولم يكن ظاهري المذهب في أي بحث طرقه حتى لو كان في صميم المباحث العلمية أو الأثرية . وبريئ من دعاوي النزعة التاريخية Historisme التي أصابت أبحاث «نيلدكه» و«جولد تسيهر» بالمغالاة في تلمس الأشباه والنظائر الخارجية السطحية في الغالب الأعم - إيذاناً بالتأثير ولئن كان الإيغال في الاستبطان مما يدفع ماسينيون أحياناً الى إضفاء روحانية عميقة على ما لم يكن في ذهن أصحابه غير حرفية أو وضعية بسيطة ، فما كان ذلك إلا نتيجة اشتغاله المتواصل بفهم أسرار الصوفية وهي بطبعها ذات معنى «مطلع» أي يدعي الكشف عن الباطن المجهول من الظاهر .

ويمتاز منهم كذلك بعمق الإيمان الديني بالمعنى الأدق الأسمى الواسع الذي يضم في داخله كل المعاني السامية في كل الأديان . مما جعله أقدر على فهم دقائق الإيمان في كل الأديان . وإن كان في اختياره الرسمي قد اختار الكاثوليكية منذ أن عاد إليه إيمانه في سن الخامسة والعشرين .

ولئن كان قد عرف خصوصاً بدراساته في التوصف الإسلامي عامة ، وفي الحلاج بخاصة ، فما

كان ذلك في الواقع غير جانب واحد من جوانب فكره المتعدد الأصيل في كل ما تناوله فقد عني بالآثار الإسلامية ، واستهل بها نشاطه العلمي ، واهتم بكل المشاكل العصرية في البلدان الإسلامية ، وبتاريخ النظم الاجتماعية في الإسلام ، وأولى الدراسات الفلسفية والعلمية رعاية تشهد له باليد الطولى فيها . وتوفر على دراسة الشيعة بكل تطوراتها وفروعها ، وخصوصاً المغالية منها كالقرامطة . والنصيرية والاسماعيلية ، لأنه كانت تستهويه المذاهب المستورة والحركات السرية ، الروحية والسياسية ، في تاريخ الإسلام ، فضلاً عن ارتباطها في بعض الأحيان بصاحبه الذي رافقه طول حياته ، أعني الحلاج . وكان أبوه فرناند ماسينيون ، فنانا درس الطب ثم عدل عنه الى الفن ، واشتهر خصوصاً بفن النحت عامة وبنحت الجبس خاصة ، وقد اتخذ له في عالم الفن اسماً مستعاراً هو بيير روش Pierre Roche ، واشتهر في الأوساط الفنية في باريس في الربع الأخير من القرن الماضي وبداية هذا القرن ، وكان لهذا أثره في تنشئة إبنه : فقد نشئ نشأة عقلية فنية . وبقي تذوق ماسينيون للفن ، وللإسلامي منه بخاصة ، من العلامات البارزة في انتاجه الروحي ، وله في هذا الباب صفحات رائعة . ولعل هذا الجانب الفني الذي لقنه من أبيه هو الذي وجهه الى العناية بالآثار الإسلامية فاستهل بها نشاطه الروحي .

وقضي دراسته الثانوية في ثانوية لوي لوڤران Louis le Grand المشهورة في باريس . وبعد حصوله على البكالوريا بجزئيها : قسم الآداب والفلسفة ، في 3 أكتوبر 1900 وقسم الرياضيات في 23 أكتوبر 1901 . وبعد هذا الامتحان بدأت تظهر لديه الرغبة في الرحلات الى البلاد التي سيجعلها موضوع دراسته ، أعني البلاد الإسلامية ، فسافر في رحلة قصيرة الى الجزائر في عام 1901 . عاد بعدها الى باريس لمتابعة دراساته الجامعية ، فحصل على ليسانس في الآداب مع رسالة عن أونوريه دورفه Honoré d'urfé في أول أكتوبر 1902 وكان أستاذه في الأدب الفرنسي هو فرديناند برونو Brunot صاحب تاريخ اللغة الفرنسية الشهير . وتطوع للخدمة العسكرية حتى 18 سبتمبر 1903 ثم سافر الى مراكش في أفريل 1904 وكتب بحثاً عنها صغيراً نال به دبلوم الدراسات العليا في السوربون بجامعة باريس . بقسم العلوم الدينية حيث تتلمذ على المستشرق الفرنسي المعروف هارتفج دارنبور مؤلف قسم من فهرس مكتبة الأسكوريال ، وتابع محاضرات لوشاتيليه le Chatelier في الكوليج دي فرانس عن دراسة الإسلام من الناحية الاجتماعية . ودرس اللغة العربية في المدرسة الوطنية للغات الشرقية الحية . وحصل

منها في 10 فيفري 1906 على دبلوم في اللغة العربية الفصحى والعامية .

نشر في الجزائر 305 صفحات و30 خريطة ، وجداول بأسماء القبائل العربية والبربرية والنقود المحلية ، وراجع النص الإيطالي وترجمه الى الفرنسية . وكان هذا البحث أول دراساته عن مراكش . وفي مارس 1907 قرأ ماسينيون أشعاراً لفريد الدين العطار ، الشاعر الفارسي الصوفي العظيم ، تدور حول مصرع الحلاج ، وفيها تمجيد لشهيد التصوف . فلفت هذا نظر ماسينيون وبدأ يعجب به ، اعجاباً أقنعه بتكريس دراساته له . وبدأ أبحاثه عنه . ولما عاد الى باريس في صيف 1907 عهدت إليه مهمة القيام بأبحاث وحفائر في الآثار في العراق . فقام بهذه المهمة في شتاء 1908/7 ، وفي ذهنه أن يقوم بأبحاث تاريخية وأثرية عن مأساة الحلاج . فرحل الى بغداد في شتاء 1907 ونزل ضيف على أسرة الألوسي في بغداد . وبيتها بيت علم مشهور في العراق . وقد اعجبوا باهتمامه بأمر الحلاج ثم قام بحفائر في بادية العراق . وزار مشاهد الشيعة كلها في جنوبي بغداد . كربلاء . والنجف . والكوفة الخ .. لا زار سلمان پاك ، القرية التي تضم قبر الصحابيين الجليلين سلمان الفارسي وحذيفة . فضلاً عن مقابر إيران كلها . وفي مشاهدته لقبر سلمان ما دعاه الى الاهتمام بهذا الصحابي الذي قال عنه الرسول عليه الصلاة والسلام : «سلمان من أهل البيت» ، وانتهت به حفائره في الصحراء الى العادة اكتشاف قصر الأخيضر في ربيع 1908 .

عين ماسينيون أستاذاً بديلاً في الكوليج دي فرانس ، من 1908/19 الكرسي دراسة الإسلام من الناحية الاجتماعية ، ثم أنه أصبح أستاذاً هذا الكرسي من خلفاً لـ 1909 وعين مديراً للدراسات بالمدرسة التطبيقية للدراسات العليا ، قسم العلوم الدينية . وظل فيه حتى تقاعد عام 1954 ولما أنشيء المجمع اللغوي (مجمع اللغة العربية بالقاهرة) في عام 1933 عين عضواً عاملاً فيه حتى سنة 1950 ثم عضواً مراسلاً من 1950 حتى وفاته .

وتمثل خصوصاً بالسيدة فاطمة بنت الرسول ﷺ فكتب عن مكانتها عند الشيعة في كتاب (الرامس السجع ج 5 ، 1935 - 1939) ، وعن المباهلة في المدينة وفاطمة (باريس 1955) . وكان شغله الشاغل في السنوات الأخيرة هو بأهل الكهف . وكتب عنهم بحثاً مطولاً من أهل الكهف نشر في مجلة الدراسات الإسلامية (1952 ص 5 - 22 مع 11 لوحة) وفي آخر حياته نشر في 1962 الكتاب الذي قصه أهل الكهف في الإسلام والمسيحية وتتبع تأثيرها وتصويراً وآثاراً .

لاشك أنه أكبر عالم رحالة في هذا العصر وكان في الوقت نفسه يهتم بقضايا الساعة والدعوة الى التسامح والإخاء بين الأديان وبين الشعوب ، اهتماماً ربما يأسف له الذين كانوا يبتغون منه أن يتوفر على انجاز الأبحاث العديدة التي رسم خطوطها أو جمع موادها ولم يحرر دساتيرها وظل على هذه الحال من الحيوية والبحث والحركة حتى توفي في 31 أكتوبر 1962 ولعله لم يكن يردد في لحظاته الأخيرة غير هاتين الآيتين الكريمتين اللتين كان يرددهما في حياته باستمرار ، متأثراً بصديق حياته الروحية ، الحلاج : ﴿لن يجيرني من الله أحد﴾ سورة الجن الآية 22 ، ﴿يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق﴾ سورة الشورى الآية 18 .

النص المترجم :

إنه من مواليد 25 جويلية 1883 . في (Nogent-sur-Marne) ضاحية نوجان على نهر المارن إحدى ضواحي باريس ، وأحد أطفال فرناند ماسينيون (1855 – 1922) وتدعى زوجته ماري ، المولودة (Hovyn) . نشأ ماسينيون بباريس وذلك بحكم وظيفة والده كوسام (مصمم الأوسمة) ورسام ، ونحات ، واشتهر في الدوائر البرجوازية ، ونظراً لهذه المعطيات كلها ، اتصل ماسينيون بالحياة الثقافية وبأبرز شخصياتها في سن مبكرة عند نهاية القرن الماضي وبداية هذا القرن .

قضى دراسته في ثانوية لوي لوقران (Louis le Grand) وأظهر اهتماماً أكبر بالشرق ولغاته . وفي هذه الفترة كانت تناقش مسألة الشرق الأدنى والأوسط ليس فقط من الرحالة والكتاب الذين جعلوا من هذه المنطقة . من الكرة الأرضية ، عالماً رومانطقياً لقرائهم ، ولكن أيضاً ، نظراً للاهتمام السياسي المتزايد عند انحطاط الامبراطورية العثمانية ذلك أنه لقرون ، كانت فرنسا (تحمي) الأقليات المسيحية للأمبراطورية والبعثات التبشيرية التي بدأت تعمل هنالك . خاصة في الميدان الثقافي ، ابتداء من القرن 19 .

وإنه لمن المهم الإشارة أن الشاب ماسينيون يدأ يدرس الأدب الفرنسي ، والتاريخ والآثار واللغة السنسكرينية (لغة الهند الأدبية القديمة . المترجم) وذلك بعد انهاء دراسته الثانوية .

حصل على شهادة الليسانس سنة 1902 وتطوع في الخدمة العسكرية . كما حصل على دبلوم

سنة 1904 لم يكن هذا الدبلوم عارفا مباشرة بالإسلام ، وإنما كان دراسة خاصة بالمسيحي (Aincanus) حسن الوزان (بداية القرن XVI) .

وهو الدبلوم الأول الذي جعله يكتشف الآداب الإسلامية ، ولهذا الغرض قام بزيارة المغرب في شهر أفريل 1904 ، أين خاطر حياته في رحلته من طنجة الى فاس . ومع أن اهتمامه ، باللغة العربية بدأ مبكراً إلا أنه تعزز بزيارة الجزائر ويبدو أن تجربة المغرب جعلت يقرر تعلم هذه اللغة بشكل جدي ، كما أنه الى جانب دروسه في المدرسة التطبيقية للدراسات العليا (Ecole Paritique des Hautes Etudes) فانه سجل نفسه في المدرسة الوطنية للغات الشرقية الحية (Ecole Nationale des Langues Orientales Vivantes) ليتحصل على دبلوم في العربية الفصحى والعامية في شهر فيفري 1906 . والتحق بمعهد علم الآثار بالقاهرة في أكتوبر من نفس السنة ، حيث قضى سنوات عديدة في الشرق الأدنى باستثناء العطل الشتوية - الصيفية فانه كان يقضيها في فرنسا . وبرغم أنه كان يعمل في الآثار الإسلامية فانه كان يهتم بدراسة وقراءة نصوص بشكل مكثف وكان على اتصال وثيق بالحياة المصرية ، وفي شهر مارس من عام 1907 أعد مشروعه لدراسة الحلاج .

أرسل سنتي 1908/7 في مهمة دراسية الى الرافدين وقضى فصول الشتاء اللاحقة في القاهرة وأماكن أخرى للحصول ، بحثاً عن المخطوطات . وفي 1913/14 قدم الى الجامعة المصرية كأستاذ زائر وألقى في مصر عام 1908 إذ حاضر بالعربية في اللغاني الفلسفية والاجتماعية ، وهو موضوع البحث الذي بحث فيه معظم حياته .

تزوج لويس ماسينيون من (مارسيل دانيال بوت) (Marcelle Daniel Bouet) ابنة عالم [illegible] في عام 1911 . وانجب من هذا الزواج ثلاث أطفال ، أكبرهم [illegible] ، قامت بدراسة [illegible] الفرنسية . غير أنها توفيت مبكراً سنة 1935 وعند اندلاع الحرب العالمية الأولى ، وضع [illegible] في حالة . وأدى الخدمة العسكرية من 15 الى 1917 . في جبهتي الدردنيل ومقدونيا في فرقة الإشارة المختارة . وحكم عليه كضابط . ألحق بوزارة الخارجية خلال السنتين اللاحقتين . [illegible] عمل [illegible] في المدرسة الأنجليزية الخاصة بمشروع اتفاق سايكس - بيكو الذي [illegible] بريطانيا وفرنسا) .

بعدها عاد الى باريس وأصبح بروفيسور إضافي في الكوليج دي فرانس . [illegible] الفترة الى غاية أكتوبر 1919 ثم عمل رئيس تحرير مجلة العالم الإسلامي سنة 1919 .

ليصبح مديرها سنة 1924 ، هنا تتوقف هذه المجلة (Revue du Mande Musulman) ، لتخلفها مجلة الدراسات الإسلامية عام 1927 (Revue des Etudes Islamiques) . كلّف في نهاية عام 1920/19 بمهمة الى سوريا من طرف وزارة الشؤون الخارجية بعدئذ ، قدّم أطروحته حول الحلاج والتصوف الإسلامي المبكر . قام في شتاء 1924/23 . بدراسة حول النقابات المهنية في المغرب (أنظر مجلة العالم الإسلامي ، العدد 58 ص...

انتخب ماسينيون عام 1926 . أستاذاً شرفياً لعلم الاجتماع (والسوسيوغرافية) (Sociography) الإسلامية في الكوليج دي فرانس . كما أصبح سنة 1933 مدير الدراسات في المدرسة التطبيقية للدراسات العليا ، فرع العلوم الدينية ، الخاص بالإسلام . وأصبح في هذه السنة عضواً في مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، أين كان يقضي عدة أسابيع عمل من أيام الشتاء في كل سنة الى غاية 1960 . قام بانجاز عدة مهام علمية وثقافية ، بعد الحرب العالمية الثانية في افغانستان . والقى عدة محاضرات في معهد هاسكل ، بجامعة شيكاغو سنة 1952 كما حاضر في العديد من الجامعات الأمريكية والكندية ، وفي سنة 1953 قام بزيارة الى الهند ، وفي سنة 1955 زار مدغشقر ، وشرق افريقيا ، وتقاعد عن التدريس سنة 1954 . وبقي يعمل بنشاط الى غاية وفاته في 31 أكتوبر 1962 في منزله بباريس . خلف وراءه أرملة وابن مختص في الفيزياء النووية ، وبنت مختصة في البحث اللغوي . أما مكتبته فقد وهبت الى الكوليج دي فرانس .

ظهرت أول ببليوغرافيا عنه سنة 1954 وهي تمثل مدخل حياة ببليوغرافي . نشرت في كتاب (Parole Donne) سنة 1962 . قام بتقديمها : فانسان مونتاي (Vincent Monteil) من منشورات دار(Jaillard) ، يقع في 445 صفحة . أما الببليوغرافيا النهائية فهي في طريق النشر (ربما تكون قد نشرت) في مجلد إضافي الى كتاب (Opera Minora) للويس ماسينيون صدرت في بيروت عن دار المعارف سنة 1963 . يقع في ثلاث مجلدات 672+666+855 صفحة لقد تم اختيار هذه الأعمال من قبل ماسينيون قبل وفاته ونشرت في ثلاث مجلدات كما سبقت الإشارة الى ذلك . وحسب تقدير تقريبي فإنه لازال 300 مقال منشور إضافة الى تقديم كتب ، ومراجعة كتب ، ومقالات صغيرة ، ومذكرات صحفية الى جانب خمسة عشر كتاباً ، وطبعات مدرسية ، وكذا أربع طبعات لكتابه : دليل العالم الإسلامي (Annuaire du Monde Musulman) ، واختيار 31 نصاً . ثم انه من الفائدة الإشارة الى الطبعة الثانية بعد وفاته لكتاب (Passion de... al-hallaj) ، آلام الحلاج .

وباللغة الانجليزية ، نجد 40 مقالاً للويس ماسينيون في الطبعة الأولى للموسوعة الإسلامية . وحوالي 15 مقالاً متنوعاً بالفرنسية أو مترجماً نحو الانجليزية .

لقد تحدث ماسينيون عن الدين ، والأخلاق ، والتجارب الشخصية ، ولم يتحدث عن موهبته الشخصية بشكل كامل والذي كان عليه أن ينجزها بل بالأحرى تحدث عن أشياء انتصر فيها . وعن طفولته . نجد ماسينيون يتلقى تكويناً دينياً من والدته ، لأن والده لم يكن ممارساً للدين الكاثوليكي ، وعلى أية حال ، التقى بعده شخصيات ، من خلال والده بـ (J.K Hysmans) ، الذي أصبح يمارس الدين الكاثوليكي ، كما التقى بـ (E. Psichari) وأخيراً (C. de Foucauld) الذي قام بنفس العمل ، كما أن محيط الجامعة كان مضاداً لرجال الدين . مارس ماسينيون الدين في أيام دراسته الأولى على الأقل ، أما عندما حلّ بالقاهرة فقد تخلى عن ذلك .

كوّن ماسينيون مجموعة من المختصين في الشؤون العربية ، من التكوين العالي في الدراسات العربية والحضارة الإسلامية . ترأس عدداً من المهات الخاصة بالتبادل الثقافي بين فرنسا والعالم الإسلامي (لكنها كانت في الخفاء مهام سياسية مدروسة) – المترجم .

شارك ماسينيون في إعداد وثيقة اتفاق سايكس – بيكو ، وذكرى مرور قرن على احتلال الجزائر سنة 1930 . بعد هذه الفترة أصبح يعارض سياسة السجون بعد مذابح مدغشقر (1947) ، وعارض موقف الغرب اتجاه القضية الفلسطينية (1948) وكذا إرسال محمد الخامس (ملك المغرب ، والد الحسن الثاني) الى المنفى (1953) ، في المغرب وتونس . وأخيراً عمليات التقتيل والتعذيب في الجزائر وكانت الدراما الجزائرية ، جثاماً خاصاً ، بالنسبة إليه .

كان لماسينيون اتصال دائم بالعرب ، وذلك على جميع المستويات الاجتماعية . ويقول بأنه اكتشف الله ووجد نفسه وذاتيته عن طريق وسطاء عرب . عرف ماسينيون العرب كما فعل البعض الآخر ووجد ترحاباً وقبولاً من العرب . يقال بأنه كان يساعد الطلبة العرب بباريس ، وكذا عمال شمال افريقيا بمنطقة باريس Gresillons كما كان يقوم بزيارة سجناء شمال افريقيا أيضاً في fresnes .

زار العالم الإسلامي كله ، ما عدا اندونيسيا ، أولى اهتماماً خاصاً لإيران ودرس المذهب الشيعي ، وفي نهاية المطاف اتصل بالهنود . والبوذيين ، والشنتو (ديانة اليابان الأهلية القائمة في المقام الأول على تقديس أرواح الأبطال والأباطرة والقوى الطبيعية) ، مات ماسينيون بباريس

في 31 أكتوبر 1962 ، وعمره 80 عام . عاش حياة متنوعة وغنية بالنشاط . ويعد في الاستقامة العلمية . درّس قرابة 30 سنة في الكوليج دي فرانس حيث حضر معظم علماء الإسلام باللغة الفرنسية محاضرات ماسينيون ، وعند نهاية الحرب العالمية الثانية انتقل الى المدرسة التطبيقية للدراسات العليا ، أين كان يشرف على دراسات العديد من الطلبة الشباب من الولايات الفرنسية ، وشمال افريقيا والشرق . عمل ماسينيون على دفع مجلة Abstracta Islamica التي قدمت لأول مرة نظرة إجمالية للدراسات المهداة عبر العالم للاشكال التقليدية ، وكذا الاحساس والشكوك ، وانبعاث الثقافة والدين الإسلاميين .

ويبقى ماسينيون في عالم الثقافة ، ومؤرخ الصوفية ، والزهد والحياة الصوفية للمسلمين فقد خصص ابحاثه الأولى للصوفية بعد سنوات عديدة من الدراسات التاريخية للطوبوغرافيا والآثار بالقاهرة ، ثم بغداد . مات قبل أن ينهي دراسة الحلاج .

من هو الحلاج ؟

نشر ماسينيون سنة 1958 . الطبعة الثانية لكتابه : المعجم التقني للصوفية الإسلامية ، من هو الحلاج ؟ إنه متصوف إسلامي ، من أصل فارسي ، ثقافته عربية . ومن مواليد فارس سنة 858م . كان أول التابعين لسهل التستاري ، والمكي ، وجنيد ، بعدها انفصل عنهم وذهب بعيداً لتقديم الوعظ والارشاد في العراق ، والحجاز ، والولايات الشرقية للخلافة ، زار الجزء الشمالي من الهند ، وكشمير ، وتركستان . أصبح واحداً من المشتبه فيهم وبأنه من القرامطة الذين بدأ نشاطهم التخريبي ضد الخلافة العباسية .

ألقي القبض على الحلاج في بداية سنة 908م . وفر من السجن ، لكنه أعيد الى السجن بعد عودته الى بغداد . وعرف ثماني سنوات من الحبس . مات في 26 مارس سنة 992م . بعد أن تعرض الى تعذيب شديد .

اعتبر الحلاج عند البعض بأنه مشعوذ ، ودجال ، وعند الآخرين بأنه إلهي ، واعتبره القليل الآخر كابن العربي ، بأنه ملاك حقيقي ، أما المستشرقون الأوروبيون ، فقد اعتبروه بأنه المؤمن بالنصرانية سراً . والقائل بوحدة الوجود ، أو المخطط العظيم .

أخيرا ، هناك شخصيتان هامتان للايديولوجية الشيعية اهتم بهما ماسينيون في العقد الأخير من حياته ، إنهما :

1) سلمان ، أول فارسي ينتمي الى الإسلام العربي .

2) فاطمة الزهراء ابنة الرسول ﷺ ، وزوجة علي ، وأم الحسن والحسين (رضي الله عنهم) كما اهتم ماسينيون بالتطورات المعاصرة في العالم الإسلامي ، وكان حساساً للنتائج المؤثرة على عقلية المسلم في عدم التوافق بين المجتمع الإسلامي التقليدي والعربي الحديث . لذلك وجد أنه من الضرورة المشاركة في إعادة الثقافة والدين والشخصية الإسلامية الى وضعها السابق . وهذا يؤثر بالطبع على المصالح الإستعمارية .

أما فيما يخص الكنيسة ، فإن ماسينيون دافع عن اعتراف بوجود المعاني السامية في الدين الإسلامي ، وقبول الإسلام الى عبادة الله بشكل عام . ودعى الى توسيع الموقف العقدي (المذهبي) للكنيسة الكاثوليكية الرومانية اتجاه الإسلام .

وفي هذا المجال التقي ماسينيون بالبابا في مناسبات عديدة . ويقول ما سينيون أنه اكتسب تجاربه الروحية عن طريق الإسلام ، إذ نجد العناصر المكونة للعالم الروحي عند ماسينيون تتمثل في أوجه الحياة كالحديث/والتفكير ، والصداقة ، والكرم ، والقضاء والقدر ، والكرب ، والألم ، والموت ، والتضحية ، وممارسة عبادة الأوثان ، ومواضيع أخرى ، كالتي لها علاقة بعالم الروح ، والعدالة ، والحقيقة ، والطهارة ، والنذر ، والحج ، والقضاء والقدر (التحتيم) والشفقة ، والبديل والنداء الباطني والشهادة . وأهم ما جلب انتباه ماسينيون هو ، الكرم الذي اعتبره البنية الأساسية في السلوك الإنساني وهو دستور في العلاقات القائمة بين البشرية ، والى جانب أهمية الكرم في العلاقات الفردية فإن الكرم يأخذ بعداً أوسع بين المجتمعات أو بين المجتمع والفرد . ولربما يصبح تعبيراً للعلاقات الصوفية بين الخالق والعبد .

التسلسل التاريخي لحياة لويس ماسينيون بقلم دانيال :

- 25 جويلية 1883 ولد لويس ماسينيون في (Nogent sur marne) ، والده لويس فرناند جوليس ماسينيون في بيت أقيمت على انقاض قصر (Beoute d'agnes sorel) تنحدر عائلته من (Vexin Français) قرب (Lisle Adam) والتي أقامت بباريس منذ 1799 وعرف والده باسم (Pierre Rocher) .
- 1893 1899 فترة الدراسة الثانوية في ثانويتي (Montaigne) و(Louis le Grand) .
- 1896 تقابل في الثانوية الأخيرة بهنري ماسبرو (Henri Maspuro) المختص بالحضارة الصينية ،

والذي سيكون زميله في الكوليج دي فرانس والمكتبة الخاصة بالآثار المصرية ، كما تعرف على (Gaston Maspero) والد هنري الذي كان له هو الآخر اهتمام بالشرق .

- جويلية/أوت 1898 سافر لوحده الى ألمانيا والنمسا وعمره 15 سنة .
- 1899 تحصل على الجزء الأول من الباكلوريا في شهر جويلية (قسم الفلسفة) .
- 1900 تحصل على الجزء الثاني من الباكلوريا (قسم الرياضيات) .
- أكتوبر 1900 بداية الدراسات الجامعية بجامعة باريس .
- 1901 أول سفر له الى بلد إسلامي : الجزائر وعمره 17 سنة .
- أكتوبر/1901 التقى بـ(Paul Langevin) الذي سيلتحق به في الكوليج دي فرانس .
- 1902 تحصل على شهادة الليسانس ، آداب في شهر جويلية 1902 .
- 1903/2 يؤدي الخدمة العسكرية قسم المشاة (الفرقة الجامعية) حيث تعرف على مجموعة من زملائه الطلبة .
- 1904 أول سفر الى المغرب وعمره 20 سنة ، من أجل اكتشاف مدينة فاس ، أين عاش حسن الوزان . والذي كان موضوع شهادته في الدراسات العليا . قسم التاريخ . والتي نالها في شهر جوان 1904 . ترك هذه الرسالة في الجزائر سنة 1906 . وذلك بطلب من الأب شارل دي فوكو(Cherles de Foucould) المقيم في بني عباس .
- أفريل 1905 يشارك في المؤتمر (14) للمستشرقين بالجزائر حيث تقابل في هذا المؤتمر مع (Miguel Asin Palacios) و(Ignas Goldziher) .
- فيفري 1906 تحصل على دبلوم في اللغة العربية الفصحى والعامية من معهد اللغات الشرقية . كما كان يتابع دروساً في العلوم الدينية بمعهد الدراسات العليا .
- 23 أكتوبر 1906 عين عضواً في المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة . أين انجز أبحاثاً تتعلق بالآثار المصرية ، وأبدى اهتماماً أكبر في البداية بدراسة الفن والحضارة العربية .
- 24 مارس 1907 اكتشف شخصية الصوفي : حسن ابن منصور الحلاج ، الذي سيبقى طول حياته محل دراساته واهتماماته ، إذ بعث برسالة حول هذا الأمر الى والده من القاهرة بتاريخ 29 أفريل 1907 .
- 1908/7 قام بمهمة أثرية الى العراق ، واكتشف آثاراً قرب البصرة .
- 1908 بداية المراسلات مع (Paul Claud) قنصل في (Tien-Tsin) .

● 1908 العودة الى أوروبا والمشاركة في المؤتمر الدولي (15) للمستشرقين في كوبنهاڤن .

● 1909 القيام بأبحاث حول الحلاج في مكتبات اسطنبول ، ثم العودة الى القاهرة أين قبل في جامعة الأزهر كطالب في الفلسفة . وكانت بداية لتحرير رسالته الجامعية (دكتوراه) حول الحلاج .

● أفريل 1912 المشاركة في المؤتمر (12) للمستشرقين بأثينا وكان تدخله (أنا الحق) .

● 1913/12 القى (40) درساً باللغة العربية في جامعة القاهرة الجديدة حول تاريخ المذاهب الفلسفية الإسلامية .

● 27 جانفي 1914 تزوج من مرسيل (Mrcelle Dansaert) ابنة خالته أنجب منها ثلاثة أطفال إيف (1935/15) ، دنيال (1919) و Genevieve (21 – 1966) .

● 1919/14 عين في مصلحة الصحافة بوزارة الشؤون الخارجية وطلب أن يبعث الى جبهات : الدردنيل ، ومقدونيا ، والصرب ، ثم فلسطين وسوريا ، كنائب للمحافظ السامي جورج بيكو (Gorges Picot) ، والتقي بـ : لورانس العرب (اشتركا معاً في اعداد وثيقة تقسيم الشام بين بريطانيا وفرنسا ، وكان التخاطب بينهما بالعربية ، منح وسام صليب الحرب .

● ديسمبر 1919 كلف بمهمة من طرف وزير الشؤون الخارجية ، أرستيد بريان (Arstide Briand) في حكومة كليمنصو ، ليقوم بتحقيق حول الوضع الراهن في سوريا . شارك في اقامة مملكة سوريا مع الملك فيصل ، وهو مشروع فشل في ظرف (6) أشهر وأصبح فيصل ملكاً على العراق .

● 1924/19 أستاذ إضافي لهنري لوشا تليير في الكوليج دي فرانس (كرسي دراسات علم الاجتماع الإسلامي) ، ثم مديراً لمجلة العالم الإسلامي .

● 24 ماي 1922 تقديم أطروحته : آلام حسين بن منصور الحلاج ، شهيد التصوف الإسلامي الذي نفذ فيه حكم الاعدام في بغداد يوم 26 مارس 922م ، وتعتبر هذه الأطروحة الدكتوراه الأساسية ثم تبعه بحث اضافي حول أصول المعجم التقني للصوفية الإسلامية . وهي الدكتوراه المكملة ، غير أن تقديمها تأجل بسبب الحرب وضياع جزء هام من المخطوط أثناء حريق (Louvain) سنة 1914 .

● 1923 كلف من طرف ليوتي (Lyautay) المقيم العام الفرنسي بالمغرب القيام بتحقيق حول النقابات الحرفية الإسلامية بالمغرب .

● 1924 انتخب كعضو اجنبي في الجمعية الآسيوية الملكية بلندن ومجمع العلوم بالاتحاد السوفياتي (سابقا) لنينغراد ، ومجامع أخرى فيما بعد .

● 1954/26 أستاذ علم الاجتماع الإسلامي في الكوليج دي فرانس .

● سبتمبر 1929 أنشأ معهد الدراسات الإسلامية الكائن بنهج (Rue du Four Paris) إذ كانت الدروس تقدم ابتداء من 1927 ، في أقبية جامعة السوربون .

● 1962/29 كان يقدم دروساً مسائية ، عدة مرات في الأسبوع ، الى عمال شمال افريقيا وتتمثل في القراءة والكتابة والحساب بالفرنسية . وقد بدأت هذه الدروس في (Gennevilliers) ثم تطورت بسرعة بمساعدة العديد من المعلمين والطلبة المتطوعين في مدن الصفائح (Bidon Villes) في ضواحي باريس .

● 1954/33 عيّن مديراً للدراسات بالمدرسة العلمية للدراسات العليا ، قسم العلوم الدينية : محاضرات حول الإسلام والقرآن ، وظل فيه حتى تقاعد عام 1954 .

● 1933 عيّن عضواً في مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، كان يشارك كل سنة ، بمعدل شهر في أعمال المجمع الخاص باعداد قاموس اللغة العربية .

● جانفي 1934 أنشأ في دمياط (المصرية) جمعية خيرية مسيحية خاصة بالصلاة .

● 1949/37 شارك في عدة ملتقيات (ERANOS) الخاصة بالعلوم الدينية في (Ascona) .

● 1939 جند كرئيس فرقة في القيادة العامة للأركان وكرئيس قسم الشرق الأوسط في وزارة الإعلام .

● 1946/45 مبعوث الى الشرق الأوسط مدة (6) أشهر من طرف الحكومة المؤقتة للجمهورية الفرنسية لاستئناف العلاقات الثقافية الفرنسية مع : مصر ، وفلسطين ، وسوريا ، ولبنان ، وتركيا ، والعراق ، وايران ، وافغنستان (والهند بدعوة من اللورد (Wavel) .

● 1954/46 رئيس لجنة شهادة التبريز أو الأستاذية باللغة العربية .

● 1947 رئيس معهد الدراسات الإيرانية .

● 1947 أنشأ بالتعاون مع (Andre de Peretti) و(Jean Scelles) لجنة مسيحية للتفاهم سميت : فرنسا – الإسلام .

● 1962/47 عضو في لجنة المتاحف الوطنية .

● 1952 أستاذ زائر في الجامعات الأمريكية والكندية .

- 1953 كوّن لجنة فرنسا – المغرب العربي .
- 1954 رئيس لجنة العفو على المحكوم عليهم سياسياً فيا وراء البحر .
- 1954 رئيس جمعية أصدقاء غاندي .
- 1954 تقاعد عن التدريس الجامعي (الكوليج دي فرانس ، الدراسات العليا ، لجنة شهادة الأستاذية) .
- 1962/55 زائر للسجون ، وبخاصة زياراته كل أسبوع لمسجوني شمال افريقيا .
- 1955 زار مدغشقر ، والتقى أثناء زيارته بزوجات النواب الملغاشيين ، الذين أطلق سراحهم بعد تدخل ماسينيون لفائدتهم ، كما سمح لمحمد الخامس ، ملك المغرب بالعودة الى وطنه .
- فيفري 1958 القى محاضرة حول شارل دي فوكو في المركز الجامعي للمثقفين الكاثوليك أين هوجم وجرح في وجهه في الوقت الذي أخذ فيه الكلمة .
- 1958 شارك في المؤتمر التاسع لتاريخ الديانات في اليابان .
- 1959 شارك في المؤتمر العالمي لقدماء المحاربين في (Aarhus) بالدنمارك .
- 1960 شارك في المؤتمر الدولي (25) للمستشرقين بموسكو .
- 31 أكتوبر 1962 تنتهي حياة لويس ماسينيون في حدود العاشرة ليلاً بسكتة قلبية ، (بعد كل هذا المشوار الطويل والعطاء الذي لم ينقطع إبان هذه المسيرة العلمية) . ومن العرب الذين كتبوا عنه نذكر الذين وجدنا أسماءهم ضمن قائمة أعمال ماسينيون :

أ. الحوراني ، وفي ، مبارك ، وابراهيم مذكور ، ومحمد عزيز الحبابي (من المغرب) توفي في صالفة 1993 . وقد كتب عنه الأستاذ سعدي بزيان في جريدة (الشعب) 11 سبتمبر 93 ص7 . وريمون اسكندر فرانسيس وجورج مقديسي ، وابراهيم غافه من الجزائر (سفير سابق في الكويت واليابان) ويعد عليه دراسة خاصة ، فيصل خليل .

المراجع

- بدوي عبد الرحمن ، موسوعة المستشرقين ، دار العلم للملايين ، بيروت 1984 ، ص363 – 367 .
- Moubare (y) Bibliographie de Massignon, in melanges Massignon. T1 Dames 195n-57.
- Hommage a Louis Massignon, in les lettres Française, N° 952 Nov 1962.
- Massignon, cahiers de l'Herne, no spec 13, 1970.
- Bounoure, G. «Detin de l'Arabisme» in les lettres nouvelles. N° 19, 1961.
- Memorial Massignon, Dar Es-Salam, le caire 1963.

يذكر أولاً مصدر النص المترجم ، وهو :

World Muslim (the) N°50 (1960), pp.157-172.